المحسنات المعنوية واللفظية
في كتاب المثل السائر

أ.م.د. مثنى نعيم حمادي
الجامعة العراقية / كلية الآداب

ملخص البحث

فقد نحا ابن الأثير بالبلاغة منحى أخر أساسه التعريف بصناعة الكتابة، فقسم كتابه إلى قسمين أو مقالتين:

المقالة الأولى في الصناعة اللفظية، وتحدث في القسم الثاني منها عن الألفاظ المركبة، حيث عرض في هذا القسم لأنواع البديع اللفظي، وفيها يقول : ((وأعلم أن صناعة تأليف الألفاظ تنقسم إلى ثمانية أنواع هي : السجع ويختص بالكلام المنثور، التصريع ويختص بالكلام المنظوم، التجنيس ويشمل القسمين جميعاً، الترصيع ولزوم ما لا يلزم، الموازنة)).

وتحدث في المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية، فجمع بهذا العمل مسائل البيان والمعاني والبديع في تلك المقالتين.

لهذا فإننا نحاول جمع ما تفرق في أنحاء الكتاب من الأنواع التي اشتهر بها علم البديع عند معظم المتأخرين.

مبتدئين بالمحسنات المعنوية مرتبة على الحروف الهجائية لجذر الكلمة ثم اللفظية

Abstract

Has tended son ether eloquent turn another definition based writing industry, dividing the book into two or two articles:

The first article in the verbal industry, and occur in the second section, including all words vehicle, as displayed in this section of the types of magnificent verbal, and in which he says: ((I know that written words industry is divided into eight types: assonance and specializes speak Wallflowers, Altbara specializes speak Almnzawm, naturalization and includes all sections, studding and necessity of what is not necessary, the budget)).

Speaking at the second article about the moral industry, gathered this work issues statement meanings and magnificent in those numbers below.

That is why we are trying to gather scattered throughout the book of the species that are known for their Literary technique when most of the latecomers.

Beginners Bamahsnat moral arranged the alphabets to the root of the word, and verbal

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين.

أما بعد: فقد نحا ابن الأثير بالبلاغة منحى أخر أساسه التعريف بصناعة الكتابة، فقسم كتابه إلى قسمين أو مقالتين:

المقالة الأولى في الصناعة اللفظية، وتحدث في القسم الثاني منها عن الألفاظ المركبة، حيث عرض في هذا القسم لأنواع البديع اللفظي، وفيها يقول : ((وأعلم أن صناعة تأليف الألفاظ تنقسم إلى ثمانية أنواع هي : السجع ويختص بالكلام المنثور، التصريع ويختص بالكلام المنظوم، التجنيس ويشمل القسمين جميعاً، الترصيع ولزوم ما لا يلزم، الموازنة))[1].

وتحدث في المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية، فجمع بهذا العمل مسائل البيان والمعاني والبديع في تلك المقالتين.

لهذا فإننا نحاول جمع ما تفرق في أنحاء الكتاب من الأنواع التي اشتهر بها علم البديع عند معظم المتأخرين.

مبتدئين بالمحسنات المعنوية مرتبة على الحروف الهجائية لجذر الكلمة ثم اللفظية وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على مقدمة ومبحثين:

المبحث الأول: المحسنات المعنوية.

المبحث الثاني: المحسنات اللفظية.

ثم الخاتمة، فالمظان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

المبحث الأول
المحسنات المعنوية

التجريد: وعرفه بقوله: (أخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه) [٢].

ويبين سر هذه التسمية، فبين أن أصله في وضع اللغة : ((من جردت السيف إذا نزعته من غمده، وجردت فلاناً إذا نزعت ثيابه، ومن هنا قال النبي ﷺ: ((لا مد ولا تجريد)) في النهي عند إقامة الحد، أن يمد صاحبه على الأرض وان تجرد ثيابه، ثم نقل هذا المعنى إلى نوع من أنواع علم البيان)) [٣].

وجد ابن الأثير للتجريد فائدتين[٤]:

الأولى: طلب التوسع في الكلام، لأنه إذا كان ظاهره خطاباً لغيرك وباطنه خطاباً لنفسك كان ذلك من باب التوسع.

الثانية: وهي الأبلغ أن المتكلم يتمكن من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه إذ يكون مخاطباً بها غيره ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه.

وعلى هذا الأساس قسم ابن الأثير التجريد قسمين : محضاً وغير محض.

القسم الأول: التجريد المحض وعرفه بقوله: ((أن تأتي بكلام لغيرك وأنت تريد به نفسك))[٥] وهذا القسم ينطبق على تعريف ابن الأثير للتجريد.

وقد قسم المحض إلى قسمين[٦]:

الأول : ما يمكن به تمكين المتكلم من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه، وقد مثل له بقول الشاعر المعروف بالحيص بيص [٧]:

إلام يراك المجد في زي شـــاعر وقد نحلت شوقاً فروع المنـــابر
كتمت بعيب الشعر حلماً وحكمة ببعضهما تنقاد صعب المفـــاخر

أماً وأبيك الخير إنك فارس الـــ مقال ومحي الدارسات الغــوابر

وإنك أعييت المسامع والنهـــى بقولك عما في بطــون الــدفاتر

فقد أجرى الشاعر الخطاب على غيره، وهو يريد نفسه ليتمكن من ذكر ما ذكره ونحن نعلم أن هذا التجريد التفات على رأي السكاكي حيث انتقل من التكلم إلى الخطاب(٨).

الثاني: ما قصد به التوسع خاصة ومنه قول الشاعر :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت فرارك من ريا وشعباكما معاً

فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً وتجزع أن داعي الصبابة اسمعا

ثم يقول ابن الأثير: (وقد ورد بعد هذين البيتين ما يدل على أن المراد بالتجريد فيهما التوسع لأنه قال:

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي خشية أن يتصدعا بنفسي تلك الأرض ما أطيب الريا وما أحسن المصطاف والمتربعا، فانتقل من الخطاب التجريدي إلى خطاب النفس ولو استمر على الحالة الأولى لما قضى عليه بالتوسع وإنما يقضي عليه بالتجريد البليغ الذي هو الطرف الآخر)(٩) وهذا النوع هو إلتفات من المخاطب إلى المتكلم على رأي الجمهور، وكان الأحرى بابن الأثير أن يضم هذا النوع إلى أنواع الالتفات عنده.

أما القسم الثاني: فهو تجريد غير محض(١٠)، فهو خطاب للنفس لا للغير، ومن أمثلته :

أقول لها وقد جشأت وجاشت رويدك تحمــدي أو تســتريحي

الاستدراج:

يقول أنه استخرجه من كتاب الله تعالى، وعرفه بقوله : ((وهو من مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال)) (١١).

ويوضح أن مدار البلاغة فيه إنما تكمن في النكت الدقيقة التي يستعملها في استدراج الخصم للإذعان والتسليم.

ويقول: ((وقد ذكرت في هذا النوع ما يتعلم منه سلوك الطريق))[١٢] فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[١٣].

يقول ابن الأثير: ((ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام والطفه فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم، فقال : لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذباً فكذبه يعود عليه ولا يتعداه أو يكون صادقاً فيصبكم بعض الذي يعدكم أن تعرفتم له))[١٤].

ثم يقول : ((إنما قال يصيبكم بعض الذي يعدكم، وقد علم أنه نبي صادق وإن كل ما يعدهم به لابد وأن يصيبهم، لا بعضه ذلك لأنه احتاج مقاولة خصوم موسى عليه السلام أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة في القول، ويأتيهم من جهة المناصحة ليكون أدعى إلى سكونهم إليه، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وادخل من تصديقهم إياه، فقال: ((وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم)) وهو كلام المنصف في مقابلة المشتط، وذلك أنه حين فرضه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد به لكنه أردف بقوله : ((يصبكم بعض الذي يعدكم)) ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافياً، فضلاً عن أن يتعصب له، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل، كأنه برطلهم في صدر الكلام بما يزعمونه، لئلا ينفروا منه))[١٥].

ويقول ابن الأثير في آخر الآية : ((لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله للنبوة ولا عضده بالبينات))[١٦]، وفيه من خداع الخصم واستدراجه مالا خفاء فيه.

وللاستدراج مسالك وتصرفات عجيبة في القرآن الكريم، كشف عنها ابن الأثير ببراعة وإتقان، نرى ذلك حين تكلم عن قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾[١٧] يقول ابن الأثير: ((هذا كلام يهز أعطاف السامعين، وفيه من الفوائد ما أذكره وهو أنه لما أراد إبراهيم عليه السلام أن ينصح أباه ويعظه وينقذه مما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل رتب الكلام معه في أحسن نظام، مع استعمال المجاملة واللطف، والأدب الحميد، والخلق الحسن مستضيئاً في ذلك بنصيحة ربه، وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطيئة طلب منبه على تماديه، موقظ من غفلته لأن المعبود لو كان حياً مميزاً سميعاً بصيراً مقتدراً على الثواب والعقاب، إلا أنه بعض الخلق يستخف عقل من أهله للعبادة، ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبيين فيكف بمن جعل المعبود جماداً لا يسمع ولا يبصر يعني به الصم ثم ثنى ذلك بدعوته إلى الحق، مترفقاً به، فلم يسم أباه بالجهل المطلق، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال أن معي لطائفة من العلم وشيئاً منه، وذلك علم الدلالة على سلوك الطريق، فلا تستنكف، وهب أنني وإياك في مصير وعندي معرفة بهداية الطريق دونك فاتبعني أنجك من أن تضل ثم ثلث ذلك بتثبيطه عما كان عليه ونهيه ثم حذره من سوء العاقبة فلم يصرح بأن العقاب لاحق به ولكنه قال: ((إني أخاف أن يمسك عذاب)) فنكر العذاب ملاطفة لأبيه، وصدر كل نصيحة من هذه النصائح بقوله يا أبت توسلاً إليه واستعطافاً)) [١٨].

ثم يقول: ((وفي القرآن مواضع كثيرة من هذا الجنس لاسيما في مخاطبات الأنبياء صلوات الله عليهم – للكفار –والرد عليهم)) [١٩].

الأرصاد:

ويعرفه بقوله: ((وان يبني الشاعر البيت من شعره على قافيه قد أرصدها له، أي أعدها في نفسه، فإذا أنشد البيت عرف ما يأتي في قافيته)) [٢٠] ثم يذكر أن ذلك محمود الصنعة، لأن الكلام ما دل بعضه على بعض، فقد افتخر ابن نباته السعدي بذلك فقال[٢١]:

خذها إذا أنشدت في القوم من طرب صدورها عرفت منها قوافيها

ثم يبدأ ابن الأثير في التمثيل لهذا النوع البديعي بما جاء منه شعراً ويختمه بما جاء منه نثراً، فما جاء منه شعراً قول النابغة[٢٢].

فداء وأمرئ سارت إليه بعذرة ربها عمي وخالي

لو كفي اليمين نفتك خوفاً لأفردت اليمين عن الشمالِ

ثم يقول: ((إلا ترى أنه يعلم إذا عرفت القافية في البيت الأول أن في البيت الثاني ذكراً للشمال)) [٢٣].

وأما ما جاء منه نثراً فقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[٢٤] عرف أن بعده يختلفون لأنه تقدم ما يدل عليه[٢٥].

ويذكر ابن الأثير أنه قد رأى أبا هلال العسكري يسمي هذا النوع باسم التوشيح ((وليس كذلك بل تسميته بالأرصاد أولى حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به وأما التوشيح فإنه نوع آخر من علم البيان)) [٢٦].

والملاحظ مما تقدم أن تعريف ابن الأثير للأرصاد لم يكن دقيقاً لأنه خصه بالشعر حيث قال: ((أن يبني الشاعر البيت من شعره على قافيه قد أرصدها له، أي أعدها في نفسه، فإذا أنشد صدر البيت عرف ما

يأتي به في قافيته)) [٢٧] على الرغم من هذا فقد مثل له نثراً والتعريف لم يشمل النثر كما شمل الشعر.

ولهذا عرفه الخطيب القزويني بقوله: ((أن يجعل من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي)) [٢٨].

أما تسميته بالأرصاد فقد انفرد به ابن الأثير ولعل أول من نبه إليه عبد الله بن المقفع بقوله عندما سئل عن البلاغة ((وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته)) [٢٩]، ولم يسمه وجاء قدامه فسماه التوشيح [٣٠] وجاراه في التسمية كل من أبي هلال العسكري [٣١]، وأطلق عليه ابن رشيق التسهيم متابعاً في ذلك علي بن هارون المنجم [٣٢].

وجاء الأرصاد على لسان ابن الأثير، فجاءت على لسان من بعده إلا أن الخطيب أطلق عليه اسم الإرصاد أو التسهيم [٣٣].

وقد ذكر العلامة السبكي: ((أن الأرصاد إنما سمي إرصادا لأن السامع يرصد ذهنه للقافية بما يدل عليها فيما قبلها وسمي تسهيماً من البرد المسهم المستوي الخطوط، وقيل يسمى تسهيماً، لأن المتكلم يصوب ما قبل عجز الكلام إلى عجزه والتسهيم، تصويب السهم إلى الغرض))[٣٤].

عكس الظاهر:

وقد عرفه ابن الأثير بقوله: ((وهو نفي الشيء بإثباته وعده من مستظرفات علم البيان. ذلك لأنك ((تذكر كلاماً يدل ظاهره أنه نفي لصفة موصوف، وهو نفي للموصوف أصلاً)) [٣٥].

ومن أمثلة هذا النوع قول علي بن أبي طالب ﷺ في وصف مجلس رسول الله ﷺ ((لا تثني فلتاته)) أي لا تذاع وليس المعنى ذلك بل المعنى أنه لم يكن ثم فلتات تثنى.

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً قول الشاعر:

لا تفــزع الأرنــب أهوالهــا ولا ترى الضــب بهــا ينحجــر

فظاهر المعنى من البيت أنه كان هنالك ضب ولكنه ليس منحجر وليس الأمر كذلك، لأن المعنى أنه لم يكن هناك ضب أصلاً.

وسبب قلة استعمال هذا النوع من الكلام، كما يقول ابن الأثير: ((أن الفهم يأباه ولا يقبله إلا بقرينة خارجة عن دلالة لفظه على معناه، وما كان عارياً عن قرينه فإنه لا يفهم منه ما أراد قائله)) [٣٦].

ولئن كان هنالك قرينة وضحت المراد من قول علي ﷺ ((لا تثنى فلتاته))، وهي أنه قد ثبتت في النفوس، وتقرر عند العقول أن مجلس رسول الله ﷺ منزه عن فلتات تكون به وهو أكرم من ذلك وأوقر فليس هناك قرينة تبين المراد من قول القائل ((ولا ترى الضب بها ينحجر)) ويقول ابن الأثير : ((أنه مكث يطوف على أقوال الشعراء قصداً للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم يجد إلا بيتاً لأمرئ القيس هو :

على لا حب لا يهتدي بمنــاره إذا ساقه العود النباطي جرجــرا[٣٧]

فقوله ((لا يهتدي بمناره)) ظاهرة أنه له منار ولكنه لا يهتدي به، وليس الأمر كذلك بل وإنما المراد: أنه لا منار له، فيهتدي به.

ويلاحظ أن ابن الأثير لم يطلع على كتاب العمدة، لابن رشيق المتوفى سنة ٤٥٦هـ، لأنه يقول: ((قد طوف على أقوال الشعراء قصداً للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم يجد غير ما تقدم)) [٣٨] مع العلم بأن ابن رشيق أورد هذا النوع وسماه نفي الشيء بإيجابه[٣٩].

ومن أمثلته قول الشاعر:

بأرضٍ خلاءٍ، لا يسد وصيدها عليّ ومعروفي بها غير منكــر

حيث أثبت بها في اللفظ وصيداً، وإنما أراد: ليس لها وصيد وقد عده من البديع.

ومن أمثلته أيضاً قول أبي ذؤيب[٤٠]:

متفلق أنســاؤها عــن قــانئ كالقرط صاوٍ غبــره لا يرضــع

فلم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع، ولكن أراد أنها لا لبن لها فيرضع.

وقد دل العلامة السيوطي على هذا النوع من الكلام في علم البديع وأطلق عليه نفي الشيء بإيجابه متابعاً فيه ابن رشيق صاحب العمدة[٤١].

المقابلة:

نجد كثيراً من النقاد والبلاغيين قد وقفوا إزاء هذه الظاهرة البديعية، فقد ذكرها ابن المعتز تحت مصطلح المطابقة[٤٢]، ووقف عندها أبو هلال العسكري فعرفها قائلاً: ((المقابلة إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة)) [٤٣].

ويتحدث ابن سنان عن التناسب فيذكر أنه ((إما عن طريق التقارب بين اللفظين في المعنى، وإما عن طريق التضاد أو قريباً منه)) [٤٤]، وتناول هذا المصطلح مفرقاً بين المطابقة والمقابلة مبيناً أن ((الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة، لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين أما أن يقابل الشيء بضده، أو يقابل بما ليس بضده وليس لنا وجه ثالث)) [٤٥].

فالمصطلح الذي اختاره ليعالج قضية التوازي عن طريق الطباق هو المقابلة باعتباره أشمل وأليق للتضاد والتشابه أيضاً.

ومن خلال ما ذكره أشار إلى شيئين لا ثالث لهما:

الأول: مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض، وما جرى مجراهما فإنه ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: مقابلة في اللفظ والمعنى، كقوله تعالى: ﴿ **فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا** ﴾[٤٦] فقابل الضحك والبكاء، والقليل والكثير. وكذلك قوله

تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[٤٧] وهذا أحسن ما جاء في هذا الباب[٤٨].

والآخر: فهو مقابلة في المعنى دون اللفظ، فقد مثل لها بقول المقنع الكندي من شعراء الحماسة:

لهم جل ما لي إن تتابع لي غنـــى وإن قل ما لي لم أكلفهم رفــدا

فقوله: ((تتابع لي غنى بمعنى قوله: كثر مالي، فهو إذا مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، لأن حقيقة الأضداد اللفظية إنما هي في المفردات من الألفاظ، نحو قام وقعد.. وقل وكثر، فالقيام ضد العقود، والقليل ضد الكثير، فإذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل إلى مقابلته بلفظ مركب كان ذلك مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، وهذا مقابلة معنوية لا لفظية)) [٤٩].

الثاني : مقابلة الشيء بما ليس بضده، فهو ضربان:

الضرب الأول يتفرع إلى فرعين:

الفرع الأول : ما كان بين المقابل والمقابل به نوع مناسبة وتقارب، كقول قريط بن أنيف:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحساناً

((فقابل الظلم بالمغفرة، وليس ضداً لها وإنما ضد العدل إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل حسنت المقابلة بينها وبين الظلم)) [٥٠].

الفرع الثاني: ما كان بين المقابل والمقابل به بعد، وهذا في نظره مما لا يحسن استعماله، ومما أورده مثالاً على هذا قول من الشعراء الأوائل باعتبار أن الشعر في عهد هؤلاء أصبح يعتمد أيضاً على الصنعة قول المتنبي[٥١]:

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو مساءة مجــرم

يعلق عليه قائلاً: ((فإن المقابلة الصحيحة بين المحب والمبغض، لا بين المحب والمجرم وليست متوسطة أيضاً، حتى يقرب الحال فيها، وإنما هي بعيدة فإنه ليس كل من أجرم إليك كان مبغضاً لك)) (٥٢).

فملاحظته هنا في محلها، لأن الحقيقة اللغوية لا تقول بأن محب يقابلها مجرم، ومن ثم فإن بيت الشاعر يتضمن مقابلة متباعدة بين معنيين.

الضرب الثاني: في مقابلة الشيء بمثله، ويتفرع إلى فرعين:

الفرع الأول: مقابلة المفرد بالمفرد، كقوله تعالى: ﴿ **نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾(٥٣)، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا** ﴾(٥٤).

ويذكر ابن الأثير أن هذا الضرب قد ورد كثيراً في القرآن الكريم وأنه إذا ورد في صدر آية من الآيات ما يحتاج إلى جواب كان جوابه مماثلاً كقوله تعالى: ﴿ **مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ** ﴾(٥٥) وكقوله تعالى: ﴿ **وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** ﴾(٥٦) ويقول: ((وهذا هو الأحسن وإلا فلو قيل من كفر فعليه ذنبه: كان جائزاً ولكن الأحسن هو ما ورد في كتاب الله تعالى، وعليه مدار الاستعمال)) (٥٧).

إن هذه المقابلة بالصورة التي مثل لها معتبرة عند بعض البلاغيين من المشاكلة أو من باب حمل اللفظ على اللفظ(٥٨).

على أن هذا التوضيح لابن الأثير رافقه توضيح آخر مفاده أن الأمر إذا لم يتعلق بجواب- كما هو هنا- فإن التقابل يكون عن طريق الألفاظ المترادفة، وقدم لذلك أمثلة منها، قوله تعالى: ﴿ **وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ** ﴾(٥٩) ،يعلق : ((ولو كان لا تورد الكلمة إلا مثل لقيل وهو اعلم بما تعملون)) (٦٠).

الفرع الثاني: في مقابلة الجملة بالجملة:

أما مقابلة الجملة بجملة أخرى تناسبها فهو مما يولد إيقاعاً ويعرف هذا النوع بقوله: ((وأعلم أنه إذا كانت الجملة من الكلام مستقبلة قوبلت بمستقبلة، وإن كانت ماضية قوبلت بماضية، وربما قوبلت الماضية بالمستقبلة، والمستقبلة بالماضية، إذا كانت إحداهما في معنى الأخرى))(٦١).

وقد لاحظ أن في هذه الظاهرة ((باباً عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل، وزيادة نظر، وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور وبالإعجاز من الأبيات الشعرية)) (٦٢).

ومن النماذج على هذا قول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾(٦٣) يرى أن هذه الآية إنما فصلت ((بلطيف خبير، لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث وغيره...)) (٦٤).

وهكذا فهو يعلل ما ختمت به الآيات السابقة الذكر تعليلاً معنوياً يعكس ترجيعاً إيقاعياً لما فيه من التناسب والتلاؤم بين أجزاء الكلام بشكل منقطع النظير، ((وأعلم أيها المتأمل لكتابنا هذا أنه قلما توجد هذه الملاءمة والمناسبة في كلام ناظم أو ناثر)) (٦٥).

الالتفات:

يرى ابن الأثير أن: ((الالتفات خلاصة علم البيان التي حولها يدندن وإليها تستند البلاغة، وعندها يعنعن)) (٦٦).

وهذا النوع مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله ويسميه شجاعة العربية(٦٧).

الإسرار البلاغية لأسلوب الالتفات

يورد ابن الأثير رأياً للإمام الزمخشري-رحمه الله- في قيمة الالتفات، وهو : ((أن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن

في الكلام، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء، إليه)) [٦٨]. ولكنه يرد هذا الرأي لسببين اثنين:

أولهما: ((أن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية للنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه فإن ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد، فيتنقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع، وهذا قدح في الكلام لا وصف له، لأنه لو كان حسناً لما ملّ)) [٦٩].

وثانيهما: إنه لو سلم للزمخشري: ((ما ذهب إليه لكان يوجد ذلك في الكلام المطول، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك لأنه قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجموع الجانبين معاً يبلغ عشرة ألفاظ، أو أقل من ذلك)) [٧٠].

ثم يبين ابن الأثير رأيه فيقول: ((إن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحد بحدٍ ولا تضبط بضابط لكن يشار إليها إلى مواضع منها، ليقاس عليها غيرها، فإن رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب، ثم رأينا ذلك بعينه، وهو ضد الأول قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود)) [٧١].

و ابن الأثير ينهج منهج الأوائل فها هو ذا ((ابن جني)) ينبه إلى البحث عن الإسرار التي يلتفت من أجلها في الكلام، موضحاً أن هذه الإسرار هي من خصائص التراكيب، ومتطلبات السياق والمقام.

يقول ابن جني: ((وليس ينبغي أن يقتصر في ذكر علة الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب بما عادة أهل النظر أن

يفعلوه، وهو قولهم: إن فيه ضرباً من الاتساع في اللغة لانتقاله من لفظ إلى لفظ، هذا ينبغي إن يقال إذا عرى الموضع من غرض معتمد، وسر على مثله تنعقد اليد)) (٧٢).

أقسام الالتفات عند ابن الأثير:

قسم ابن الأثير الالتفات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة.

١) أما الرجوع من الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى في سورة الفاتحة :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾(٧٣) حيث رجع هنا من الغيبة إلى الخطاب إذ قال : ((إياك نعبد وإياك نستعين)) بعد قوله : ((الحمد لله رب العالمين)) فعدل فيه من الغيبة إلى الخطاب، لأن الحمد دون العبادة فأنت تحمد نظيرك ولا تعبده، ولهذا استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر، فقال الحمد لله ولم يقل الحمد لك، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال : إياك نعبد فخاطب بالعبادة تصريحاً بها وتقريباً منه عز اسمه.

وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال(٧٤) ((صراط الذين أنعمت عليهم)) فصرح بالخطاب لما ذكر النعمة، ثم قال: ((غير المغضوب عليهم)) عطفاً على الأول، لأن الأول موضع تقرب من الله بذكر نعمه فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب فأسند النعمة إليه لفظاً، وروى عنه ذكر الغضب تحنناً ولطفاً وهذه صورة من صور الالتفات التي حظيت بالقبول عند البلاغيين من بعده(٧٥).

ثم ذكر أنواعاً تندرج تحت هذا النوع أعني الرجوع من الغيبة إلى الخطاب.

أ) الرجوع من خطاب الغيبة إلى خطاب النفس(٧٦).

ب) الرجوع من خطاب النفس إلى الجماعة(٧٧).

ج) الرجوع من خطاب النفس إلى خطاب الواحد[٧٨].

٢) وأما الرجوع من الخطاب إلى الغيبة[٧٩].

فمن قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٨٠].

يقول ابن الأثير: ((فإنه إنما قال ((فآمنوا بالله ورسوله)) ولم يقل: فآمنوا بالله وبي، عطفاً على قوله: ((إني رسول الله إليكم)) لكن تجري عليه الصفات التي أجريت عليه، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الذي يؤمن بالله وبكلماته كائناً من كان، أنا أو غيري، إظهاراً للنصفة وبعد التعصب لنفسه، فقرر- أولاً في صدر الآية أنه رسول إلى الناس، ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض الغيبة لغرضين:

الأول منها : إجراء تلك الصفات عليه.

الثاني: الخروج من تهمة التعصب لنفسه)) [٨١].

القسم الثاني: الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن الماضي إلى فعل الأمر[٨٢].

ويقول عنه ابن الأثير: ((إنه كالذي قبله في أنه ليس الانتقال فيه من صيغة إلى صيغة طلباً للتوسع في أساليب الكلام فقط بل الأمر وراء ذلك وإنما يقصد إليه تعظيماً لحال من أجرى عليه الفعل المستقبل وتفخيماً لأمره وبالضد من ذلك فيمن أجرى عليه فعل الأمر)) [٨٣].

ومن هذا القسم قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[٨٤].

فقد قال: اشهدوا، ولم يقل: وأشهدكم ((ليكون موازناً له وبمعناه فاشهادة الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، وأما اشهادهم فما هو إلا تهاون بهم ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم)) (٨٥).

و هذا المثال راجع إلى صورة الرجوع من المتكلم إلى الخطاب التي ذكرها ابن الأثير، لأنه رجع عن المتكلم في قوله: ((وأشهدوا)).

القسم الثالث:

الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضي(٨٦).

فالأول: وهو الأخبار عن الماضي بالمستقبل، أبلغ من الأخبار بالماضي لأن الفعل المستقبل يبين الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة، حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الماضي.

مثاله قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾(٨٧).

وإنما عبر بالمستقبل عن الماضي في قوله : ((فتثير)) لحكاية الحال التي يقع فيها إثارة الريح السحاب واستحضار تلك الصورة البديعية الدالة على القدرة الباهرة، وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية كحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك(٨٨).

والثاني: الأخبار عن المستقبل بالماضي: وفائدته المبالغة في تحقيق الفعل وإيجاده، لأن الفعل الماضي يعطيك معنى أنه كان ووحد، وإنما يكون ذلك إذا كان المستقبل من الأمور العظيمة التي يستعظم وجودها ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(٨٩) . فهو إنما قال: ((ففزع)) بلفظ الماضي بعد قوله: ((ينفخ)) وهو مستقبل، للإشعار بتحقيق الفزع، وأنه كائن لا محالة، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل، وكونه مقطوعاً به(٩٠).

تلك هي أقسام الالتفات عند ابن الأثير، وقد رأينا كيف فهم هذا الفن البديعي وعرف سر بلاغته عندما جعل القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ وكلام العرب البلغاء همه في التطبيق ليعرف قيمة هذا الفن، وهذا النوع عند علماء البلاغة المتأخرين، لأنه يفيد الكلام ظرافة وحسن تطرية، يقول ابن يعقوب معلقاً على هذا النوع على أنه من علم البديع: ((فإن قلت لأي وجه خصص تسميته بعلماء المعاني مع أن عد الالتفات من البديع أقرب، لأن حاصل ما فيه أنه يفيد الكلام طرافة وحسن تطرية، فيصغى إليه لطرافته وابتداعه، وإن لم يكن الكلام مطابقاً لمقتضى الحال فلا يكون من علم المعاني فضلاً عن كونه يختص بهم فيسمونه به دون أهل البديع ؟ قلت : أما كونه من الأحوال التي تذكر في علم المعاني وصحيح كما إذا اقتضى المقام فائدة من طلب مزيد الاصغاء لكون الكلام سؤالاً، أو مدحاً، أو إقامة حجة أو غير ذلك فهو من هذا الوجه من علم المعاني، ومن جهة كونه شيئاً ظريفاً مستبعداً يكون من علم البديع، وكثيراً ما يوجد في المعاني مثل هذا فليفهم، وأما تخصيص علماء المعاني بالتسمية فلا حجر فيه ولا حرج، والله أعلم)) [٩١].

قال صاحب البغية معلقاً على الشق الأول من عبارة ابن يعقوب ((والحق أن مثل هذا يكون شرطاً لحسنه، ولا يقتضي وجوبه في البلاغة فلا يصح أن يعد به من علم المعاني)) [٩٢].

المبحث الثاني
المحسنات اللفظية

الجناس: لقد عد ابن الأثير (التجنيس) فناً مشتركاً بين النثر والشعر[٩٣]، وقال عنه أنه: ((غرة شادخة وجه الكلام)) [٩٤] . وقد تصرف العلماء من أرباب الصناعة فيه، فمنهم من يسمي هذا الفن من البديع اللفظي تجنيساً، ومنه من يسميه مجانساً، ومنه من يسميه جناساً، أسماء مختلفة والمسمى واحد، وسبب هذه التسمية كما يقول ابن الأثير : ((وإنما سمي هذا النوع من الكلام مجانساً، لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد)) [٩٥]، وحقيقة الجناس عنده: ((أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً)) [٩٦] . وهذا يعني أنه ((هو اللفظ المشترك وما عداه فليس من التجنيس الحقيق في شيء، إلا أنه قد خرج من ذلك ما يسمى تجنيساً، وتلك تسمية بالمشابهة لا لأنها دالة على حقيقة المسمى بعينه)) [٩٧].

ويذهب أيضاً إلى أن التجنيس يشمل الاشتقاق خلافاً لما ذهب إليه علماء البيان الذين (يفصلون الاشتقاق عن التجنيس، وليس الأمر كذلك بل التجنيس أمر عام لهذين النوعين من الكلام، وذاك أن التجنيس في أصل الوضع من قولهم جانس الشيء الشيء، إذا ماثله وشابهه ولما كانت الحال كذلك وجدنا من الألفاظ ما يتماثل في صيغته وبنائه علمنا أن ذلك يطلق عليه أسم التجنيس)) [٩٨].

ويضيف ((كذلك لما وجدنا من المعاني ما يتماثل ويتشابه علمنا أن ذلك يطلق عليه أسم التجنيس أيضاً)) [٩٩] . فالتجنيس والاشتقاق في تصوره شيء واحد، وهكذا يتضح لنا مفهومه للتجنيس كما نلاحظ هنا، ويتضح أنه حريص على دقة المصطلح وحريص على هذه الخاصية التي قال عنها إنها غرة شادخة.

لقد قسم ابن الأثير الجناس إلى قسمين :

الأول: تجنيس على الحقيقة : وهو ((أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها)) [١٠٠]، كقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ** ﴾[١٠١] فالساعة الأولى- القيامة- والساعة الثانية الوقت المعلوم من الزمن.

فهذا الخطاب القرآني يحتفظ بمقومات صوتية تنتج من خاصيتين صرفية، وتنغيمية[١٠٢]، أي البناء الصرفي الموحد للفظتين، والتناظر التنغيمي الذي حصل عن المجاورة بين اللفظتين، فالقيمة الصوتية للتجنيس نقل كلما تباعدت اللفظتان المجنستان، في حين يكون ذا فاعلية صوتية كلما تقاربت اللفظتان، وهذا ينطبق على نوعي الجناس الحقيقي والمشبه.

ومن أمثلته قوله ﷺ لأصحابه حين نازعوا حرير بن عبد الله البجلي زمام ناقته ((خلو بين جرير والجرير)) [١٠٣] أي دعوا زمامه.

ومما جاء منه في الشعر[١٠٤] قول أبي تمام:

فأصبحت غرر الأيام مشـــرقة بالنصر تضحك عن إيامك الغـــرر[١٠٥]

فالغرر الأولى استعادة من غرر الوجه، والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشيء: أكرمه، فاللفظ واحد، والمعنى مختلف.

ومنه أيضاً:

كم أحرزت قضب الهنـــدي مصـــلتةً تهتز من قضب تهتـــز فـــي كثـــب

بيضٌ إذا انتُضيتْ من حُجبها رجعت أحقَ بالبيض أتراباً من الحُجبِ[١٠٦]

فالقضيب : السيوف، والقضب: القدور على سبيل الاستعادة .

والبيض : السيوف وتعنى أيضاً: النساء.

وهناك أمثلة أخرى[١٠٧].

يلاحظ على المثالين السابقين التي ساقهما ابن الأثير والأمثلة التي أشرنا إليهما إنما هو – أي الجناس – بين اسمين بمعنى أن اللفظين فيه إنما هما من نوع واحد وهذه الذي سماه الخطيب : المماثل[١٠٨]، وقد سماه عبد القاهر بالمستوفي[١٠٩]، وسماه العلوي المستوفي والكامل[١١٠]، وسماه الحلبي المستوفي التام[١١١]، وعند ابن الأثير بالتجنيس الحقيقي ولا مشاحة في المصطلحات أو تعدد الأسماء للمسمى الواحد كما يقول السجلماني[١١٢].

وقد أورد ابن الأثير قول أبي العلاء المعري[١١٣]:

لو زارنا طيف ذات الخال أحياناً ونحن في حفر الأجداثِ أحياناً[١١٤]

فأحياناً : في الشطر الأول من البيت الأول : جمع حين، وهو الزمن، وأحياناً في الشطر الثاني منه فعل ماضي، أي بعث فينا الحياة بعد الموت، فالجناس في هذا البيت ليس بين لفظين من نوع واحد، وإنما هو لفظات من نوعين مختلفين لأنه بين اسم وفعل.

علماً أن ابن الأثير لم يفرق بينهما.

الثاني: تجنيس بالمشابهة، وهو ستة أنواع[١١٥] :

١) أن تكون الحروف المتساوية في تركيبها مختلفة في وزنها، وهذا يعني أن الاختلاف في هيئات الحروف فقط. وقد مثل له ابن الأثير بقول النبي ﷺ : ((اللهم كما حسنت خلقي، فحسن خلقي)) [١١٦].

فاللفظتان متساويتان في التركيب مختلفتان في الوزن؛ لأن تركيب ((الخَلْق)) و((الخُلْق)) من ثلاثة أحرف وهي الخاء، واللام، والقاف، إلا أنهما تختلفان في الوزن، إذ وزن ((الخَلْق)) فَعْل بفتح الخاء، ووزن ((الخُلْق)) فُعْل بضم الفاء.

٢) أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد، وإن زاد على ذلك خرج من باب التنجيس، نحو قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[١١٧]، فاللفظتان على وزن

واحد إلا أن تركيبها مختلف في حرف واحد، حتى أن التقارب بين مخرج الحرفين زادها نغماً، فالفرق الصوتي بين (ض) و(ظ) ضئيل في هذا المثال.

٣) أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن والتركيب بحرف واحد.

نحو قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[١١٨]، حيث نجد الاختلاف في التركيب بين حرف الباء والنون والاختلاف في الوزن، إذ وزن (يَحْسَبُون) يفْعَلُ بفتح العين، ووزن (يُحْسِنُون) يُفعِلُ بكسر العين.

٤) التجنيس المعكوس: وهو ضربات: أحدهما عكس الألفاظ[١١٩]، نحو قولهم: (شيّم الأحرار أحرار الشيّم) . ويؤكد ابن الأثير على جمال هذا الضرب من التجنيس إيقاعياً بوروده في القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر.

ومنه قول الأضبط بن قريع من شعراء الجاهلية[١٢٠]:

قد يجمع المال غير آكله ويأكلُ المالَ غيرُ مَنْ جمعه

ويقطع الثوب غير لابسه ويلبس الثوبَ غير من قطعه

يقول ابن الأثير: ((وقد سمى هذا النوع قدامه بن جعفر بـ(التبديل) وذلك اسم مناسب لمساه، لأن مؤلف الكلام يأتي بما كان مقدماً في جزء كلامه مؤخراً في الثاني وبما كان مؤخراً في الأول مقدماً في الثاني)) [١٢١]، ثم مثل له بقول:

أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك

وقد مثل له بقوله تعالى: ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾[١٢٢].

ومنه قول النبي ﷺ : ((جار الدار أحق بدار الجار)) [١٢٣].

ويلاحظ أن هذا النوع من البديع بعد أن سماه قدامه باسم التبديل جاء أبو هلال العسكري فسماه ((العكس)) [١٢٤] وأول من جمع المصطلحين معاً

هو أبو بكر الباقلاني حيث سماه ((العكس والتبديل)) [١٢٥] ثم تابعه في هذه التسمية الخطيب القزويني[١٢٦].

فالكلمة في هذا الأسلوب لا تظل في مكانها إلا ريثما ترجع إليها لتحركها ثانية في توافق مع جارتها فتثب كل واحدة مكان الأخرى فيتولد معنى جديد وكأننا نتوهم أن ليس وراء هذا التغيير المفاجئ للكلمات معنى جديد ثم نواجه بهذا المعنى وكل ذلك له أثر في تنشيط النفس وإثارة الانتباه.

و الأخر: عكس الحروف، ومثل له بقول الشاعر:

جاذبتها والريح تجـذب عقربـاً   من فوق خدٍّ مثـل قلـب العقـرب

وطفقت ألـثمُ ثغرهـا فتمنعـتْ   وتحجبتْ عنـي بقلـب (العقـرب)

قال ابن الأثير: ((وإذ قلب لفظ: عقرب صار برقعاً)) [١٢٧].

٥) التجنيس المجنب: وهو أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين إحداهما كالتبع للأخرى والجنيبة لها.

ومنه قوله الشاعر:

أبا العباسـي لا تحسـب بـأني   لشيء من حلـى الاشـعار عـاري

فلـي طبـع كسلسـال معـين   زلال مـن ذُرا الأحجـار جـاري

ثم يقول: ((وهذا القسم عندي فيه نظر، لأنه بلزوم مالا يلزم أولى منه بالتجنيس إلا ترى أن التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، وها هنا لم يتفق إلا جزء من اللفظ، وهو أقله، وأما اللزوم من الكلام المنثور فهو تساوي الحروف التي قبل الفواصل المجموعة، وهذا هو كذلك لأن العين والراء تساويا في البيت الأول في قوله: ((الإشعار... وعار)) والجيم والراء في البيت الثاني في قوله ((الأحجار وجار)))) [١٢٨] مما يساوي وزنه تركيبه غير أن حروفه تنفذ) وتتأخر.

وقد ورد في الحديث النبوي في قوله ﷺ في فضيلة تلاوة القرآن الكريم: ((يقال لصاحب القرآن إقرأ، وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن فنزلتك عند آخر آية تقرأ)) [١٢٩] . ومنه قول أبي تمام[١٣٠]:

بيض الصفائح لاسود الصحائف فـــي متـــونهن جـــلاء الشـــك والريـــب

فلقد حدث تقديم وتأخير للحروف في لفظتي (إقرأ) و(ارق) مع تساوي في الوزن والتركيب، وكذا لفظتي الصحائف والصفائح وغيرهما.

فإحساس ابن الأثير بإيقاع هذه الظاهرة التجنيسية منطلق من تصوره لأقسامه كظواهر لغوية فنية تساهم في إيجاد جرس صوتي يكسبه لوناً متعدد المشارب الموسيقية فلكل ضرب من التجنيس كمال قال ابن الأثير : ((له حلاوة وعليه رونق)) [١٣١]. وهذه الإشارة إلى الحلاوة والرونق هي نفسها دوال على التوازن الايقاعي الذي يحققه التجنيس بشقيه التام والناقص[١٣٢]. ((فهو أفضل نموذج للتوازي بكل أبعاده ومعاييره، كما أنه خير ما يمثل الناحية الصوتية التقطيعية)) [١٣٣].

الترصيع:

هو من ألوان التوازن الصوتي، وقد ذكر عز الدين إسماعيل أن قدامه وابن الأثير قد وقفا عند الترصيع الذي هو: ((وحده يضفي على الكلام الرونق ويحسنه)) [١٣٤].

وابن الأثير وفي إطار رؤيته البيانية العامة وإتساقاً مع ولعه بالإيقاع الصوتي نجده يعرف الترصيع بقوله: ((هو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية)) [١٣٥].

فبموجب هذا التعريف ينقل الترصيع من الإنجاز الشفهي المقترن بالسمع إلى الإنجاز الكتابي المقترن بالبصر،الفكرة جاءت من أثر بصري[١٣٦]، إذ هو يشير للتساوي عندما قال إن الترصيع : ((هو أن

تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية)).

ويجيء الترصيع في الشعر، ولكنه لا يجيء في كلام الله تعالى لما فيه من التكلف[١٣٧]، ويعلل صاحب كتاب ((شعرية النص النثري)) خروج ابن الأثير بالترصيع عن حقل القرآن الكريم بقوله: ((ولعل الانتباه إلى الأثر البصري للترصيع هو الذي جعل ابن الأثير يبعده عن القرآن))[١٣٨].

وكذلك أنه قليل جداً في الشعر لما فيه من تعمق الصنعة وتعسف الكلفة، إلا أن هذه البنية البلاغية حاضرة في الخطاب النثري وخاصة فن المقامة كما جاءت عند الحريري في مقاماته قائلاً: ((فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الإسماع بزواجر وعظة)) [١٣٩]، إذ جعل ألفاظ الفصل الأول مساوية لألفاظ الفصل الثاني وزناً وقافية، أي أن كل ما وقع في السجعة الثانية موازٍ ومطابق لما جاء السجعة الأولى، كما يأتي:

فهـــو يطبـــع الأســـجاع بجـــــــواهر لفظـــــــه

ويقـــــرع الإســـــماع بزواجـــــــر وعظـــــــه

السجع:

إذا كانت الفنون البديعية مما تجري في الشعر والنثر على حد سواء فإن السجع يكاد يكون خاصاً بالنثر، وهو الفن البلاغي الوحيد الذي يمكن أن يقال أنه يجري في داخل البيت ويسمى تشطيراً أو ترصيعاً.

وقد عرف ابن الأثير السجع بقوله: ((تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد)) [١٤٠].

والتعريف ينص صراحة على أنه من الفنون الخاصة بالنثر.

ولقد دافع على هذه الظاهرة بقوة مستدلاً بورودها في الخطاب القرآني بقوله: ((وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم أن يأتوا به، وإلا فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن

الكريم، فإنه قد أتى منه بالكثير حتى أنه ليؤتي بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن، وسورة القمر، وغيرهما)) (١٤١).

ودافع كذلك عن وجوده في الحديث النبوي الشريف نافياً أن القصد من قول الرسول ﷺ ((أسجعاً كسجع الكهان)) (١٤٢) هو النهي عن السجع مطلقاً وإنما القصد منه النهي عن نوع من السجع كان الهدف منه كما هو معروف التلاعب بالكلمات قصد التضليل والابتعاد عن الحق ومعروف أن الكهان كانوا يدعون العلم بالغيب ولهذا وصفه ابن الأثير: ((إنما النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع))(١٤٣) فالسجع إذن ليس بمنهي عنه ((وإنما المنهي هو الحكم المتبوع في قول الكاهن))(١٤٤).

وقد أكد دفاعه عن السجع بذكر أنه يوجد في الحديث الشريف، قصد تحقيق التوازن في الكلام، فالرسول ﷺ قال: ((ارجعن مأزوران غير مأجورات)) (١٤٥) وإنما أراد موزورات من الوزر. قال ابن الأثير: ((إنما أراد موزوران من الوزر فقال ما زورات لمكان مأجورات طلباً للتوازن والسجع وهذا مما يدل على فضيلة السجع)) (١٤٦).

أما شروط السجع عنده كي يؤدي وظيفة تحسين الكلام ويحقق الغاية الجمالية المنوطة به فهي أن تكون الألفاظ : حلوة، حارة، طنانة، رنانة(١٤٧)، في الشروط الثلاثة الأولى ما يدل على حرصه على الجانب الإيقاعي فالحلاوة والحرارة، التي هي ضد البرودة والغثاثة كما ذكر تحمل دلالة إيقاعية، فالحلاوة لا تكون إلا إذا كانت اللفظة تتمتع بجرس موسيقي عذب، وكذلك هذه الرنة المذكورة.

فمن هذه الشروط يفهم أن السجع في الأصل إيقاع ويرى ابن الأثير زيادة إلى الشروط السابقة أن يكون السجع غير متكلف، لأن ذلك مما يفسد الخطاب ويفسد إيقاعه ويذهب إلى أن من أهم شروط السجع أن تكون السجعة الثانية حاملة لمعنى غير معنى السجعة السابقة لها يقول: ((وأعلم أن للسجع سراً هو خلاصته المطلوبة فإن عري الكلام المسجوع

منه فلا يعتد به أصلاً وهذا شيء لم ينبه عليه غيري... والذي أقوله في ذلك هو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها، فإن كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه)) [١٤٨].

أقسام السجع:

يقسم ابن الأثير السجع إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون الفصلان متساويين لا يزيد أحدهما عن الآخر[١٤٩].

كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾[١٥٠]، وهو أشرف السجع عنده منزلة للاعتدال الذي فيه، ((والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنفس تميل إليه بالطبع)) [١٥١].

فابن الأثير قدرك ما للإيقاع من تأثير على النفوس بدليل تفسيره النفسي لظاهرة السجع، وهذا ما قال به المحدثون، فالمنشأ النفسي لميل العرب إلى الإيقاع وشيوعه في القول العربي بشكل لافت للنظر إنما هو – عند أحمد أمين– التركيب النفسي للشخصية العربية القديمة التي طبعتها الصحراء الرتيبة بإيقاعها الرتيب ذي النغمة الواحدة المتكررة[١٥٢].

الثاني: أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول طولاً لا يخرج به عن الاعتدال خروجاً كثيراً[١٥٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾[١٥٤] . فالفصل الأول ثمان لفظات، والفصل الثاني والثالث تسع لفظات.

الثالث: أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول، وهو عند ابن الأثير عيب فاحش ويعلل ذلك ((أن السجع يكون قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله، ثم يجيء الفصل الثاني قصيراً عن الأول، فيكون كالشيء المبتور، فيبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى

غاية فيعثر دونها)) [١٥٥]، ومن ثم فهو يجعل للسجع باعتبار تساوي السجعات وتوازيها قسمان حسنان، وقسم قبيح بل وفاحش أيضاً.

ثم يبين ابن الأثير أن السجع على اختلاف أقسامه ضربان:

الأول: السجع القصير، وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة، وأحسنه ما كان مؤلفاً من لفظتين، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾[١٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾[١٥٧]، لأنه ((كلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع)) [١٥٨]، فابن الأثير يرى في هذا الضرب تكثيفاً للإيقاع والجرس الموسيقي، لذا كان أدعى مذهباً وأبعده متناولاً ولا يكاد استعماله يقع إلا نادراً.

والضرب الآخر: وهو ضد الأول لأنه أسهل متناولاً، وكل من هذين الضربين تتفاوت درجاته في الطول، فنجد منه ما يقرب من السجع ((القصير))، وهو ما كان تأليفه من إحدى عشرة لفظة إلى اثني عشرة لفظة وأكثره خمس عشرة لفظة.

ومنه ما يبعد عن السجع القصير، ويكون تأليفه من العشرين لفظة فما حولها[١٥٩]، ويترك ابن الأثير الباب مفتوحاً أمام السجع ((الطويل)) بقوله : ((ومن السجع الطويل أيضاً ما يزيد عن هذه العدة المذكورة وهو غير مضبوط)) [١٦٠].

فكل هذه الدقة والشمول في التحديد والتقسيم لبنية السجع لا نلمس إحساسه بإيقاعية السجع فحسب، بل نحس معه برغبة عارمة في إخراج هذه البنية البلاغية من دائرة الصنعة والجمود إلى سماحة الطبع وصفاء القريحة.

لزوم ما لا يلزم:

يرى ابن الأثير أن هذا الفن ((من أشق هذه الصناعة مذهباً وأبعدها مسلكاً، وذلك لأن مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه، فإن اللازم في هذا

الموضع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها وهذا فيه زيادة على ذلك، وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً، وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي قبل روي الابيات الشعرية)) (١٦١).

وهذا النوع سماه عبد الله بن المعتز ((إعنات الشاعر نفسه)) (١٦٢) فدلت التسمية على ما في صناعته من مشقة وعناء وقد سماه ابن جني التطوع بما لا يلزم ثم قال وهو ((أن يلتزم الشاعر ما لا يجب عليه، ليدل بذلك على غزارة وسعة إطلاعه)) (١٦٣).

ولئن جعل ابن المعتز هذا النوع خاصاً بالشعر وخصه كذلك ابن جني، فإن ابن الأثير جعله شاملاً للشعر والنثر وجاراه في ذلك الخطيب القزويني(١٦٤).

ومن جملة الشواهد التي اختارها ابن الأثير في فصل يتضمن ذم الجبان : ((إذا نزل به خطب ملكه الفرق، وإذا ضل في أمر لم يؤمن إلا إذا أدركه الغرق)) (١٦٥)، فاللزوم هنا في (الراء) و(القاف) وابن الأثير يقر بأنه لا كلفة على كلمات اللزوم هامه، فالكلفة تخرج هذه الظاهرة الأسلوبية من دائرة الإيقاعية الجمالية لأن ((الكلفة وحشة تذهب برونق الصنعة، وما ينبغي لمؤلف الكلام أن يستعمل هذا النوع حتى يجيء به متكلفاً، ومثاله في هذا المقام كمن أخذ موضوعاً، رديئاً فأجاد فيه صنعته، فإنه يكون عند ذلك قد راعى الفرع وأهمل الأصل، فأضاع جودة الصنعة في رداءة الموضوع)) (١٦٦).

وورود مثل هذا النوع في القرآن الكريم يسير جداً، يقول: ((فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾(١٦٧) ومنه قوله: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾(١٦٨) ويقول: ((وربما وقع بعض الجهال في هذا الموضع، فأدخل فيه ما ليس منه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ

فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾[١٦٩] وهو لا يدخل في باب اللزوم لأن الأصل فيه (نعم) و (جحيم) والياء هي من حروف المد واللين، فلا يعتد بها ها هنا)) [١٧٠].

ومن الشواهد الشعرية، فقد تمثل بشعر أبي العلاء المعري، وأبي تمام والفرزدق وكثير عزة مبيناً الفرق بينها، وذكر أن المعري ألف كتاباً اسماه اللزوم وذكر أنه ((أتى فيه بالجيد الذي يحمد والرديء الذي يذم))[١٧١].

أما من بين ما حسن من شعره فيه فكقوله:

لا تطلبن بآلة لك حاجة ... قلم البليغ بغير جد مغزل

سكن السما كان السماء كلاهما ... هذا له رمح وهذا أعزل

وهذا بين الاسترسال وبين الكلفة[١٧٢]، أما ما تكلف له تكلفاً ظاهراً وإن أجاد، فقوله:

تنازع في الدنيا سواك ومالـه ... ولا لك شيء في الحقيقة فيها

ولكنها ملك لرب مقدر ... يعير جنوب الأرض مرتد فيها

ومما على هذا الأسلوب قول أبي تمام في مريثة[١٧٣]:

طواه الردى طي الرداء وغيبت ... فضائله عن قومه وفواضله

طوى شيماً كانت تروح وتغتدي ... وسائل من أعيت عليه وسائله

فيا عارضاً للعرق أقلع مزنه ... ويا واديا للجود جفت مسايله

يعلق قائلاً: ((وهذا من أحسن ما يجيء في هذا الباب، وليس بمتكلف كشعر أبي العلاء، فإن حسن هذا مطبوع، وحسن ذاك مصنوع)) [١٧٤]، واستدلالاً على فعالية هذه الخاصية الإيقاعية إذا لم تأت متكلفة بذكر شواهد من الشعر منها قول الفرزدق[١٧٥] :

منع الحياة من الرجال وطيبها ... حدق تقلبها النساء مراض

فكأن أفئدةَ الرجال إذا رأوا ... حدق النساء لنبلها أغراضُ

يعلق قائلاً : ((وإذا شئت أن تعلم مقادير الكلام، وكان لك ذوق صحيح فانظر إلى هذا العربي في كلامه السهل الذي كأنه ماء جار، وانظر إلى ما أوردته لأبي العلاء المعري، فإن أثر الكلفة عليه ظاهر)) [١٧٦].

ويذكر كيف أن هذه الظاهرة قد يحسن استغلالها فتؤتي ثمارها الجيدة وذلك كما في قصيدة لكثير عزة التي مطلعها[١٧٧]:

خليلي هذا ربع عــزة فــاعقلا قلوصيكما ثم احللا حيــث حلــت

يقول عنها: ((وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتاً، وهي مع ذلك سهلة لينة، تكاد تترقرق من لينها وسهولتها، وليس عليها من أثر الكلفة شيء)) [١٧٨].

الموازنة:

ويعرفها بقوله هي: ((أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساويي الألفاظ وزناً)) [١٧٩].

والإيقاع الناجم عن هذه البنية البلاغية صادر عن تساوي أوزان الكلمات، وليس صادراً عن تساوي الكلمات (الفواصل) على حرف واحد كما هو في السجع، لذا قال ابن الأثير أن ((هذا النوع من الكلام هو أخو السجع في المعادلة دون المماثلة، لأن في السجع اعتدالاً وزيادة على الاعتدال، وهي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد. وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع، ولا تماثل في فواصلها، فيقال إذا : كل سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعاً)) [١٨٠].

فإذا كان السجع يساوي الاعتدال مع التماثل، فالموازنة هي سجع ينقصه المماثلة في الحرف الأخير، فهي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية، نحو قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [١٨١]، فالمستبين والمستقيم موازنة، لأنهما تساوتا في الوزن دون التقفية، فالوزن واحد والحرف الأخير غير واحد. ويذهب العسكري

أن هناك صورة أحسن وأكمل من هذه للتوازن، وذلك بأن تكون الفواصل على زنة واحدة، وحرف واحد [١٨٢].

وأقل ما يشترطه للتوازن ((أن تكون الفواصل على زنة واحدة، وإن لم يكن أن تكون على حرف واحد فيقع التعادل والتوازن)) [١٨٣]. و إن كان لا يطلق مصطلح (الموازنة) بل يدخل بها في باب الازدواج.

ويستشهد ابن الأثير لجمال إيقاع (الموازنة) بالنص القرآني خالصاً إلى أن ((معظم آياته جارية على هذا النهج حتى أنه لا تخلو منه سورة من السور، ولقد تصفحته فوجدته لا يكاد يخرج منه شيء عن السجع والموازنة)) [١٨٤].

الخاتمة

أهم النتائج التي توصل إليها البحث

١) برز أبن الأثير فائدتين للتجريد، الأولى طلب التوسع في الكلام، والثانية أن المتكلم يتمكن من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه.

٢) وضح أن مدار البلاغة في الاستدراج تكمن في النكت الدقيقة التي يستعملها في استدراج الخصم للإذعان والتسليم.

٣) لم يكن تعريف ابن الأثير للأرصاد دقيقاً، لأنه خصه بالشعر، في حين مثل له نثراً.

٤) لم تكن المقابلة عند ابن الأثير من قبيل الصنعة الزائدة بل كانت مظهراً من مظاهر الحسن والجمال الإيقاعي.

٥) لا يرى للالتفات غرضاً فنياً واحداً، وإنما يرى أغراضه متعددة، ومتنوعة حسب المقامات والسياقات التي يصاغ في إطارها الخطاب.

٦) التفت ابن الأثير إلى أن الاشتقاق والتجنيس في تصوره شيء واحد. والاتفاق قد يكون في اللفظ والمعنى معاً.

٧) حقق تصوراً عاماً لنبية الترصيع من خلال النظام الذي يجعل كل جزء من أجزاء الفصل بإزاء الجزء المساوي له المتوازن معه، وهذا ما زاده إيقاعاً على إيقاع. ولكنه في الوقت ذاته لاحظ أن هذا العنصر الإيقاعي قد يكون من علامات التكلف بدليل عدم وجوده في كتاب الله تعالى.

٨) لا ينظر إلى السجع من زاوية الحسن الإيقاعي فحسب، وإنما يقيدها بالدلالة حتى لا يصبح السجع من أجل السع، ويفقد الخطاب به قيمته وأهميته، ويصبح الكلام مجرد تطويل وتكلف.

٩) يذهب ابن الأثير إلى ورود (لزوم ما لا يلزم) في القرآن الكريم، ولكنها جاءت على صورة الخلقة والطبع لا على صورة التخلق والتكلف.

١٠) يستشهد لجمال إيقاع الموازنة بالخطاب القرآني خالصاً إلى أن معظم آياته جارية على هذا النهج حتى أنه لا تخلو منه سورة من السور.

الهوامش

(١) المثل السائر : ٢٠٩/١.
(٢) المصدر نفسه: ١٥٩/٢.
(٣) المصدر نفسه : ١٥٩/٢-١٦٠.
(٤) ينظر: المصدر نفسه : ١٦٠/٢.
(٥) المصدر نفسه : ١٦٠/٢.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٠/٢، ١٦٣.
(٧) ديوانه: ٤٠٤/٢.
(٨) ينظر: الإيضاح: ٢٠٦.
(٩) المثل السائر:١٦٢/٢.
(١٠) ينظر: المصدر نفسه:١٦٣/٢.
(١١) المصدر نفسه: ٢٥٠/٢.
(١٢) المصدر نفسه:٢٥١/٢.
(١٣) سورة غافر، الآية: ٢٨.
(١٤) المثل السائر: ٢٥١/٢.
(١٥) المصدر نفسه:٢٥٢/٢.
(١٦) المصدر نفسه:٢٥٢/٢.
(١٧) سورة مريم، الآية: ٤١-٤٥.
(١٨) المثل السائر: ٢٥٣/٢.
(١٩) المصدر نفسه:٢٥٤/٢.
(٢٠) المصدر نفسه:٢٠٦/٣.
(٢١) لم أجده في الديوان.
(٢٢) ديوان النابغة الذبياني: ٦٠، ٦١.
(٢٣) المثل السائر:٢٠٦/٣.
(٢٤) سورة يونس، الآية:١٩.
(٢٥) المثل السائر:٢٠٧/٣.
(٢٦) المصدر نفسه: ٢٠٧/٣.
(٢٧) المصدر نفسه :٢٠٦/٣.

(٢٨) الإيضاح: ١٩٨.
(٢٩) البيان والتبيين : ١١٧/١.
(٣٠) ينظر : نقد الشعر: ١٦٧.
(٣١) ينظر: الصناعتين:٣٩٧.
(٣٢) ينظر : البلاغة تطور وتاريخ : ١٤٩.
(٣٣) ينظر: الإيضاح: ١٩٨.
(٣٤) عروس الافراح: ٣٠٥/٤.
(٣٥) المثل السائر: ٢٤٨/٢.
(٣٦) المصدر نفسه:٢٤٨/٢.
(٣٧) ديوانه: ٦٤.
(٣٨) المثل السائر: ٢٤٩/٢.
(٣٩) ينظر: العمدة:٨١/٢.
(٤٠) ديوانه : ٦٤.
(٤١) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان :١٣٤.
(٤٢) ينظر: كتاب البديع:٣٦.
(٤٣) كتاب الصناعتين:٣٧١.
(٤٤) سر الفصاحة:١٨٨.
(٤٥) المثل السائر:١٤٤/٣.
(٤٦) سورة التوبة، الآية :٨٢.
(٤٧) سورة الحديد، الآية :٢٣.
(٤٨) ينظر: المثل السائر: ١٤٤/٣.
(٤٩) المصدر نفسه:١٥١/٣.
(٥٠) المثل السائر:١٥٢/٣.
(٥١) ديوانه: ٤٦٢.
(٥٢) المثل السائر:١٥٣/٣.
(٥٣) سورة التوبة، الآية : ٦٧.
(٥٤) سورة النمل، الآية :٥٠.
(٥٥) سورة الروم، الآية :٤٤.

(٥٦) سورة الشورى، الآية :٤٠.
(٥٧) المثل السائر: ١٥٩/٣.
(٥٨) ينظر: سر الفصاحة:١٣٣.
(٥٩) سورة الزمر، الآية : ٧٠.
(٦٠) المثل السائر: ١٦٠/٣.
(٦١) المصدر نفسه: ١٦٢/٣.
(٦٢) المصدر نفسه: ١٦٣/٣.
(٦٣) سورة الحج، الآية :٦٣.
(٦٤) المثل السائر: ١٦٤/٣.
(٦٥) المصدر نفسه: ١٦٤/٣.
(٦٦) المصدر نفسه: ١٦٧/٢.
(٦٧) المصدر نفسه: ١٦٧/٢.
(٦٨) المصدر نفسه:١٦٨/٢.
(٦٩) المصدر نفسه:١٦٩/٢.
(٧٠) المصدر نفسه: ١٦٩/٢.
(٧١) المصدر نفسه : ١٦٩/٢.
(٧٢) المحتسب: ١٤٥/١.
(٧٣) سورة الفاتحة، الآية: ١-٧.
(٧٤) المثل السائر: ١٧٠/٢.
(٧٥) ينظر: المصدر نفسه:١٧١/٢.
(٧٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٢/٢.
(٧٧) ينظر: المصدر نفسه:١٧٣/٢.
(٧٨) ينظر: المصدر نفسه:١٧٤/٢.
(٧٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٧/٢.
(٨٠) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٨١) المثل السائر: ١٧٩/٢.
(٨٢) ينظر: المصدر نفسه:١٧٩/٢.
(٨٣)المصدر نفسه:١٧٩/٢.

(٨٤)سورة هود، الآية : ٥٣-٥٤.
(٨٥) المثل السائر: ١٨٠/٢.
(٨٦) ينظر: المصدر نفسه:١٨١/٢.
(٨٧) سورة فاطر، الآية: ٩.
(٨٨) ينظر: المثل السائر:١٨٢/٢.
(٨٩) سورة النحل، الآية: ٨٧.
(٩٠) ينظر: المثل السائر: ١٨٥/٢.
(٩١) مواهب المفتاح: ٤٦٣/١، ٤٦٤.
(٩٢) بغية الايضاح: ١٤٥/١.
(٩٣) ينظر: المثل السائر: ٢٦٣/١.
(٩٤)المصدر نفسه:٢٦٢/١.
(٩٥)المصدر نفسه:٢٦٢/١.
(٩٦)المصدر نفسه:٢٦٢/١.
(٩٧)المصدر نفسه:٢٦٢/١.
(٩٨) المصدر نفسه : ١٩٥/٣، ١٩٦.
(٩٩) المصدر نفسه: ١٩٦/٣.
(١٠٠) المصدر نفسه:٢٦٣/١.
(١٠١) سورة الروم، الآية:٥٥.
(١٠٢) ينظر: شعرية النص النثري: ٤٥.
(١٠٣) النهاية في غريب الحديث والأثر:٢٥٩.
(١٠٤) ينظر: المثل السائر: ٢٦٣/١.
(١٠٥) لم أجده في ديوانه.
(١٠٦) ديوانه:٤٨/١.
(١٠٧) ينظر: المثل السائر: ٢٦٣/١.
(١٠٨) ينظر: الإيضاح: ٢٠٦/٦.
(١٠٩) ينظر: إسرار البلاغة:٥.
(١١٠) ينظر: الطراز: ٣٥٦/٢.
(١١١) ينظر: حسن التوسل:٤٣.

(١١٢) ينظر: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع:٣٧٢.
(١١٣) لم أجده في سقط الزند.
(١١٤) ينظر: المثل السائر:١/٢٦٦-٢٧٣.
(١١٥) ينظر: المصدر نفسه:١/٢٦٨.
(١١٦) مسند الإمام أحمد : ١/٤٠٣.
(١١٧) سورة القيامة، الآية: ٢٢-٢٣.
(١١٨) سورة الكهف، الآية: ١٠٨.
(١١٩) ينظر: المثل السائر:١/٢٧٣.
(١٢٠) ينظر: الشعر والشعراء: ١/٣٤٣.
(١٢١) المثل السائر:١/٢٧٤.
(١٢٢) سورة آل عمران، الآية:٢٧.
(١٢٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٤/٣٨٨، ولفظه جار الدار أحق بالدار من غيره.
(١٢٤) ينظر: الصناعتين : ٣٨٥.
(١٢٥) ينظر: إعجاز القرآن:٩٨.
(١٢٦) ينظر: الايضاح:٢٠٠.
(١٢٧) المثل السائر: ١/٢٧٦.
(١٢٨) المثل السائر:١/٢٧٧.
(١٢٩)مسند الإمام أحمد بن حنبل:٢/١٩٢، ٤٧١.
(١٣٠)ديوانه: ١/٣٢.
(١٣١) المثل السائر:١/٢٧٤.
(١٣٢) وهذه الأقسام أطلق عليها فيما بعد عند المتأخرين بـــ (الجناس التام، وغير التام، والناقص، والمحرف... ألخ).
(١٣٣) البديع والتوازي: ٤١-٤٢.
(١٣٤) الأسس الجمالية في النقد العربي:٢٢٦.
(١٣٥) المثل السائر:١/٢٧٧.
(١٣٦) ينظر: شعرية النص النثري:٤٥-٤٦.
(١٣٧) ينظر: المثل السائر:١/٢٧٧.
(١٣٨) شعرية النص النثري:٤٦.

(١٣٩) مقامات الحريري: ١/١٩ .
(١٤٠) المثل السائر:١/٢١٠.
(١٤١) المصدر نفسه:١/٢١٠.
(١٤٢) صحيح مسلم:٣/١٣١١، بلفظ : ((أسجع كسجع الاعراب)).
(١٤٣) المثل السائر:١/٢١١.
(١٤٤) المصدر نفسه:١/٢١١.
(١٤٥) سنن ابن ماجه: ١/٥٠٣.
(١٤٦) المثل السائر:١/٢١١.
(١٤٧) ينظر: المصدر نفسه:١/٢١٣ وما بعدها.
(١٤٨) المثل السائر:١/٢١٤.
(١٤٩) المصدر نفسه:١/٢٥٥.
(١٥٠) سورة الضحى، الآية: ٩-١٠.
(١٥١) المثل السائر:١/٢١١.
(١٥٢) ينظر: فجر الإسلام :٤٥.
(١٥٣) ينظر: المثل السائر:١/٢٥٥.
(١٥٤) سورة الفرقان، الآية:١١-١٣.
(١٥٥) المثل السائر:١/٢٥٧.
(١٥٦) سورة المرسلات، الآية:١-٢.
(١٥٧) سورة المدثر، الآية :١-٥.
(١٥٨) المثل السائر: ١/٢٥٨.
(١٥٩) ينظر: المصدر نفسه: ١/٢٥٨.
(١٦٠) المصدر نفسه:١/٢٥٨.
(١٦١) المثل السائر:١/٢٨١.
(١٦٢) البديع:٧٤.
(١٦٣) الخصائص:٢/٢٣٤.
(١٦٤) الإيضاح:٢١٢.
(١٦٥) المثل السائر:١/٢٨١.
(١٦٦) المصدر نفسه:١/٢٨٣.

(١٦٧) سورة العلق، الآية :١-٢.
(١٦٨) سورة الطور، الآية:١-٢.
(١٦٩) سورة الطور، الآية:١٧-١٨.
(١٧٠) المثل السائر:١/٢٩٠.
(١٧١) المصدر نفسه:١/٢٨١.
(١٧٢) ينظر: المصدر نفسه:١/٢٨٣.
(١٧٣) ينظر: نهاية الأرب: ٥/٢١١.
(١٧٤) المثل السائر:١/٢٨٨.
(١٧٥) ديوانه:٣٣٩.
(١٧٦) المثل السائر:١/٢٨٦.
(١٧٧) ديوانه:٩٥.
(١٧٨)المثل السائر:١/٢٨٦.
(١٧٩)المثل السائر:١/٢٩١.
(١٨٠)المصدر نفسه:١/٢٩١.
(١٨١)سورة الصافات، الآية:١١٧-١١٨.
(١٨٢) ينظر: الضاعتين:٢٨٨.
(١٨٣) الضاعتين:٢٩٨.
(١٨٤) المثل السائر:١/٢٩٣.

ثبت المظان

بعد القرآن الكريم

١) الأسس الجمالية في النقد العربي، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة ،٢٠٠٠م

٢) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: هـ ريتر، دار المسيرة، بيروت، ط/٣ ،١٩٨٣م.

٣) إعجاز القرآن : أبو بكر محمد الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط/٤، القاهرة.

٤) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني(ت٧٣٩هـ) شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجة، ط/٢.

٥) البديع: ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) اعتنى بنشره إغناطيوس كراتشقوفكسي، دار المسيرة، بيروت.

٦) البديع والتوازي: عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة الإشعاع الفنية، الاسكندرية، ط/١، ١٩٩٩م.

٧) بغية الإيضاح لتخليص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المعتال الصعيدي، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز.

٨) البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط/٦.

٩) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الانجلو المصرية، ط/٢، ١٩٤٨م.

١٠) حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي (ت٧٢٥هـ)، تحقيق ودراسة : أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٧٦م.
١١) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط/٢، ١٩٦٣م..
١٢) ديون أبي ذؤيب، نورة الشملان، الناشر عمادة شؤون المكتبات – جامعة الرياض، ١٩٨٠م
١٣) ديون امرئ القيس، ضبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٥ ،٢٠٠٤م.
١٤) ديوان حيص بيص، حققه : مكي السيد جاسم، وشاكر هادي شكر، وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٤م.
١٥) ديوان زهير بن أبي سلمى :شرحه وقدم له : علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٨٨م.
١٦) ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له : علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٨٧م.
١٧) ديوان كثيرة عزة، جمعه وشرحه: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ،١٩٧١م.
١٨) ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.
١٩) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٣، ١٩٩٦م.
٢٠) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق: علي فوده، مكتبة الخانجي، ط/١، ١٩٣٢م.
٢١) سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) تحقيق : محمود فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٢) شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي، تعليق: راجي الأسمر، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، ١٩٨٨م.
٢٣) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٩م.
٢٤) شعرية النص النثري: أبلاغ محمد عبد الجليل، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط/١، ٢٠٠٢م.
٢٥) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، ط/٢.
٢٦) الصناعتين، أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: د. مفيد قمحة، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٩٨١م.
٢٧) الطراز، يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٩هـ)، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م.
٢٨) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص، بهاء الدين السبكي (ت٧٧٣هـ)، طبعة عيسى الحلبي، مصر.
٢٩) العمدة، ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، ط/٥، ١٩٨١م.
٣٠) فجر الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، ط/١٠، ١٩٦٥م.
٣١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، تحقيق : علي النجدي حافظ، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، طبعته المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٩م.

٣٢) المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانه، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.
٣٣) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٩٧٨م.
٣٤) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أو أبو محمد القاسم السجلماني الأنصاري، تحقيق: علال الغازي، مكتبة العارف، المغرب.
٣٥) نقد الشعر. قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار عطوة للطباعة، ط/١، ١٩٧٩م.
٣٦) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٠٠٤م.
٣٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجرزي ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط/٢، ١٩٧٩م.